مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

جماليات البنية البسيطة والبنية المركبة في كتاب (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) للزمخشَري (ت ٥٣٨ هـ)

الباحث م. م. خالد رحيم بايش
المشرف أ. د. صادق جعفر عبد الحسين
جامعة ذي قار / كلية الآداب

الملخص :
تشكّل فكرةَ دراسة كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار كمنظومةً خبريةً تستند إلى كيفية بناء الزمخشَري أخباره وتوجيهها توجيهاً يوضح الرؤية السرديّة للكتاب ، إذ إن المألف لم يُركز على الموضوع فحسب بل أهتمَ بطريق تقدَّيم أخباره، فالزمخشَري يمتلك موهبةً قصصيةً سرديّة أثناء سرده لنصوص أخباره وهذا هو ((الابداع في الخطاب القصصي المؤمن لتوصيل الحكاية (الحدث) مما لا يضمَّن معه الجنوح إلى الخيال على حساب الحدث زيادةً أو نقصاناً)) .

Abstract
shows that Alzamakshari re wrote in many colors and that the reader finds what is needed and that this Composition is not complicated but Simple and gives results

المقدمة :
تتراوح أشكّال الخبر في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار بينَ القصيرة والطويلة وهذا التفاوت يحيل إلى ثنائية أخرى هي البسيط والمركّب ، وتُرجع هذه الثنائية كما يرى سعيد يقطين إلى كون الخبر جنساً جامعاً لأنواع متعددة يكونَ الاختلاف بينَها على مستوى الشخصيّات والاحداث [١]. وهذا ما جعلَ الخبر يتخذ أنماطاً بنائيةً مختلفةً ، أضفت عليه صفات تشكّلية متعدِدة تبعاً لبنائهِ التركيبيّ والفنّي ، وقد تشكّلت تلكَ الأنماط البنائية على وفق علاقات قد تكونَ قائمة على المزاوجةِ بين الوحدات الخبرية أو التضمّينَ لوحدة خبرية أو أكثر في سياق خبر مخصوص يوفّق بين هذه الوحدات .
وتنشأ علاقات التركّيب بينَ الأخبار استجابةً لمِا قامَ عليه الخبر ((من خصائص تجعل الربط بين وحداته أمراً ممكناً ، سواءُ كان ذلكَ عن طريق الجمع أو الاحتواء أو المواصلة ، أو عن طريق التضخيم والتفصيل والمسرحة والتجسيدِ ، أو عن طريق التروية أيَّ إيراد الخبر الواحد على لسان شخص تارةً ، وعلى لسان غيره تارةً أخرى ، فتتغيَّر صيغته كلّما نُسِبَ لراوٍ جديد))[٢]. إن الخبر بمثابة المادة الأساسية لعمل الرواية ، كما أنه أحد الركائز الأساسية في التداولية حيث يكون حدثاً أو فعلاً وقع في الواقع من شخص أو عدة شخصيّات تكون متواتر. إن النظرَ في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري يُكشف لنَا طبيعة تشكّل الخبر البنائية والفنّية . فتُلفيّ تلكَ الأخبار قد توزعت بنائياً على قسمين : أخبارُ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

بسيطة ، وأخبار مركّبة ونلحظ من ذلكَ أن أخبارَ الزمخشَري قد تباينت في طبيعتها البنائيَّة ، فقد يكونَ الخبر المفرد البسيط حائزاً على النسبة الأكبر في بعضها ، وقد يجوز الخبر المركّب على تلكَ النسبة الأكبر .

وعلى وفق ما تقدّم ، فقد رأينا أنَّ ندرسَ تشكّلات الخبر ضمنَ التشكّيل البنائي ونظرنا فيه إلى بنيةِ الخبر تبعاً لمستويي البنية البسيطةَ والمركّبةَ .

أولا : البنية البسيطة (الخبر) .

تقوّم بنية الخبر البسيط ((على ثنائية سرديّة واحدة ترد مفردة ، أو تتكرَّر في الخبرِ الواحد والثنائية التي تغلب هذه الأخبار هي ثنائية الاستخبارَ والأخبارَ)) [٣]. فيكونَ الخبر البسيط ذا حدثَ معينَ وزمانَ ومكانَ معينينَ ، كما يقتصر الطول على استعادةِ قول مأثور أو نقلَ حوار بينَ طرفينَ ، وقد يتدنى مستوى السرديَّة هنَا فيقتصر أمرهَا على ذكر القول فقط وكذلكَ يُمهد له بوضع سرديّ تصبح فيه ثنائيةِ الاستخبار والاخبار مندرجة في سياق ثنائية أشمل منها في تلكَ الأخبارَ[٤] .

وتُعدَّ بنية الخبر البسيط أحد مكونات النصوص السرديّة إلى جانبِ الأنواع الأخرى ، وهذا النوع من الأخبار يُتسم بكونهَ ((أقل تمركزاً في الفضاء والزمان ويكونَ مركزاً على الحدث أكثر من تركيزه على الشخصيّات...والاتكاء على مرجعيات تاريخية والايجاز في الاسلوب))[٥]. ولعلَّ ذلكَ عائدَ في الغالبِ إلى اعتمادَ الخبر في نقلَ الواقعية الاخبارية نقلاً منسجماً ومتتابعاً دونَ وجود اختلافات وانحرافات في النصوص الخبرية ، والخبر البسيط وحدةً دلاليَّةً قائمةً بذاتهَا على المستوى السرديّ ، تقوَّم على وحدة الحدث ، أو الحدث المركزيَّ ، الذي يمثّلُ بناءً سرديًا قد يسمح بتنوَّع عناصر السرد داخل الخبر البسيط .

ولما كانت الأخبارَ البسيطة تميل إلى الإيجاز فإنهَا قد اتَّسمت ((بالاقتصادِ والاقتصار على ما هو ضروري ؛ لإيقاع الأثر في القارئ أو السامع . غير أن تنقل الخبر ، وتعاور الرواة إيَّاه في أطوار زمنيَّةً مختلفةً ومتباعدةً أحياناً ؛ ربَّما يسَّر أمرَ التوسَّع بالخطابِ على نحو ما يظهر في نماذج من الأخبار المتأخِّرةِ التي صارت مجالاً لإبراز قُدرةَ الراوي على تجويدِ العبارة والإسراف في التفنَّن))[٦].إن النوعَ البسيطَ من الأخبار هو ما كان أقل تمركزاً في الفضاء الزمني ، إذ يتمَّ التركيز على الحدثِ أكثر من أيَّ عنصر آخر[٧] . لذا يبقى الخبر البسيط بنيةً منفتحةً يمكنَ أن تُوسع وتُركّب وتتعقَّد بنائياً ، لتؤول إلى خبر مركّب ، وبنية الخبر تخضع لأنساق تركيبيةً وصفيةً ، ودلاليةً مقصديةً ، وتداوليةَ المقامَ ، مما جعلَ الخبر يُتسم ببنيةِ بسيطةِ أسبق في الوجود من البنى المركّبة لقرب البساطة من طور المشافهة وقرب التركيب من طور الكتابة ، مما يفسرَ هيمنةَ النوع الخبري كمياً من خلال عدد الأخبار .

إن الخبر كوحدة حكائية ذات خاصية مميزة ، يمكنَ أن يخرج عن الواقعية ، نأخذ برأي عبد الله العروي الذي قدم مفهوماً آخر للخبر البسيط الذي أسماه (خبر الآحاد) : ((إن الخبر الآحاد مؤشراً على قانون في طور التكوين ، لذا لا يبقي الخبر على حاله ، إلا إذا لم يغمس تماماً في قانون عام ، إذ احتفظ بشيء من العفوية والغموض ما يبرهن فيه هو معناه الخفيَّ))[٨]. لذلكَ يُعدَّ الخبر البسيط فرعاً من النصوص السرديّة إلى جانب الأنواع الأخرى من السرود ؛ ولأن السرد حاضر في كل زمان ومكان ، ومن نماذج هذا النوع قول الزمخشَري في كتابه ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ((حفر زياد نهراً ، فأشهد فتح الماء إليه معقل بن يسار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تبركاً به ، فنسب النهر الى معقل ، وترك نهر زياد))[٩].

نلحظ الراوي في هذا الخبر السابق يُمهد القول من أجل الوصول إلى الحدثِ الاساس ، عبرَ ابتداء الراوي بوضعيةٍ افتتاحيةٍ (حفر زياد للنهر)،التي أخذت تنقل المتلقيّ إلى الحدثِ الاساس وتتميز هذه الانتقالة في

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

الخبرِ بالتركيزِ والابتعادِ عن التفصيلات ، وبعد ذلكَ ينتهي إلى الحدثِ الاساسِ (تسمية النهر) ، وبذلكَ يمكن َالقول أنَ الغرض الاساس من هذا الخبر هو نقل الواقعة التاريخية ، وايصالها إلى المتلقيّ دونَ الاهتمام بالسياقِ الخارجي الذي وجدت فيه (زمن حفر النهر ، مكان النهر) ، والاحداث الجانبية لخبر الحفر والتسمية . إنَ الخبر بتشكّله البسيط على مستوى الحدث ، قد اتّخذ حيِّزاً كبيراً من اهتمام الرواةَ فراحوا يَروونه في كتبهم الإخبارية مشحوناً بالتركيز في مضاميَّنه ، قائماً على الإيجاز والقِصر، وهذا اتجاه واسعَ في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري ، فنرى شيئاً من الأخبار التي يرويها الزمخشَري والتي اتَّسمت بالبساطةِ والوجازةِ، إذ يقول في أحد أخباره : ((مرَّ أعرابي بحمَّاد عجرد ، وهو يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان ، فقال : " تعجردت يا غلام " فسُمي عجرداً)) [١٠]. إذ ينفتح الفعل الحكائي للخبر بـ (مرور أعرابي) على حمَّاد عجرد ، وينغلق بمخاطبتِه لحمَّاد (تعجردَّت يا غلام) ، وقد تحقَّق في هذا الخبر، بحكم التركيز الاختزالي ، تحديدَ للشخصيّات فلم تتجاوز شخصيَّتي الأعرابي وحمَّاد بوصفهما شخصيَّتينَ رئيستينَ ، والصبيان باعتبارهِما شخصيّات ثانوية، تخدم الحدث الرئيس وتعضَّدهَ ، ومن ثَمَّ ارتكاز الخبر على أحاديَّة الحدث وقد ُبنى التشكّل الدلالي للخبرِ على مركز تلفَّظيّ أساس أو فعل رئيس ، وتتفرّع عنه وحدات دلالية تدور حول ذلك المركز التلفظيَّ [١١]. ومن ذلك َما رواه الزمخشَري ، إذ يقول : ((لما خرج عبد الملك يريد مصعباً ، عرض له كثيِّر فقال : يا كثيِّر ذكرتك اليوم فما تكاد تخرج من بالي فإن أنبأتني لِمَ ذكرتك فاحتكم عليَّ فيما أدفعه إليك . قال : نعم ، أردت الشخوص إلى هذا الوجه فنهتك عاتكة بنت يزيد ، فلما جددت بكت فبكى لبكائها حشمها ، فذكرت قولي :

إذا مـا أراد الـغزو لـم تثنِ هـمـــه حصـــان عليـهـا نظـم در يـزينهـا
نهتـــه فلمـــا لم تـــر النهي عـاقـه بكت فبكى ممـــا شجاهـــا قـطينهـــا

قال : قد والله أصبت فاحتكم ، قال : مائة ناقة برعاتها ، فدفعها إليه ثم قال : هل لك أن تصحبنا في هذا الوجه ؟ فقال : احرز هذه وارجع إليك . قال : إنك قد صدقتني فوفيت لك أفرأيت أن أنبئك بما في نفسك أتحكمني ؟ قال : أي والله ، قال : قد قلت في نفسك هذا عائد عن الحق من أهل النار يخرج إلى مثله ، فلعله يصيبني سهم غرب ، فالحق بالذي أنا معه . قال : قد أصبت يا أمير المؤمنين فاحتكم. قال : حكمي عليك أن أصل هذه الإبل لك بألف دينار وأعجل سراحك)) [١٢].

فقد تضمَّن هذا الخبر لجملة من الأحداثِ المتواليةِ تمثّلت ابتداءً عندما خرجَ عبد الملك يريد مصعباً عرضَ له كثيِّر ، وارادَ الشخوص إلى هذا الوجه حتى نهته عاتكة بنت يزيد وهي تنشد قصيدتها ، فبكت فبكى لبكائها ومن ثَمَّ أصاب عبد الملك فاحتكم ، وكان حكمه أيصال هذه الإبل إلى كثيِّر ومعها الف دينار وأعجل سراحك . وكانت هذه الأحداث تتمحور حول حدث رئيس ابتغاه الراوي تمثّل أن ينبأ كثيِّر عبد الملك ويحتكم فيما يدفعه له . ومن نوادره التي تمثّلتَ في بنية الخبر الوجيز البسيط ما رواه الزمخشَري ، إذ يقول : ((عن عبد الرحمن بن عدي : سمعت أبا هريرة يقول : ضرس الكافر مثل أحد . فقلت في نفسي : فكيف برأسه ؟ فيكف بيده ؟ كالشَّاكّ ، فأريت في النوم من القابلة أن بثرة ، خرجت في خنصري فملأت المدينة . فقيل لي : هذا لشك في قول أبي هريرة))[١٣] . وبهذا يتضح أن الخبر المفرد البسيط المتسم بالوجازة ِغالباً قد يتضمَّنَ نادرةً ، أو موقفاً طريفاً ، أو نحوهما ، لِيكونَ ذلكَ التندَّر أو المفارقة بؤرةً يرتكزُ عليها الخبر ومن ذلكَ خبر: ((أبو العيناء : كان لي خصوم ظلمة فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دؤاد ، وقلت : قد تظافروا علي ًوصاروا يداً واحدة فقال : يد الله فوق أيديهم . قلت : إن لهم مكراً ، قال : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، قلت : هم كثير ، قال : كم من فئة قليلة غلبت ، فئة كبيرة بإذن الله)) [١٤] . نجد في هذا الخبر كونَه يقتصر على الحوار بينَ شخصيّن وفعل القول فقط ، هما ناقل الخبر أبو العيناء الذي يشكو إلى

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

أحمد بن أبي دؤاد ، وهو خبر يجري بوساطة الاستخبار والأخبار فشخصيّة أبو العيناء تشكو وتطلب الاستخبار وقد حصلَ عليه في نهايةِ الخبر (قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله) ، لذلكَ يمكنَ القول أن الحدث الاساس والوحيد في تلك َالحكاية جو الكلام المتبادل بينها ، إذ تتجلّى في ثنائية الاستخبار والاخبار والتي يطلق عليها محمد القاضي الطلب والحصول ، طلب الاستخبار والحصول على الخبر(١٥).

أن البساطة التي نعنيها في النص الخبري تُتسَم في التركيز على الحدثِ الاساس واهمال التفاصيل ، فضلاً عن الشخصيّة المفردة ، وانعدام التأطير الزماني والمكاني في الغالب ويمكنَ أن نجدَ ذلكَ واضحاً في قول الزمخشَري في أحد أخباره : ((سُئل أحمد بن عيسى العلوي عن سنيِّه فقال : خافت الخمسين من ورائي ، وأنَّ التفاتي إليها طويل)) (١٦).

يُركز النصَ الخبري المذكور على نقل حادثةٌ واحدةً وهي حوار يقوّم بين َطرفينَ لمعرفة عمر أحمد بن عيسى العلوي ، دونَ أن تتشابك َهذه الحادثة مع أحداثَ أخرى وإن كانت ذات علاقة بها كتفصيلات هذا العمر . مما يتبيَّن لنا أن بساطة النصَ الخبري تعتمد على ثنائية الاستخبار والأخبار دونَ تحديد الفضاءَ الذي دار فيه الحديث ، أو حتى التصريح باسم الشخصيّة المحاورة . وأحياناً يأتي هذا النوع من الأخبار لاستعادة ((قول مأثور ، ونقل حوار طريف بين شخصيّن)) (١٧). ومنه قول الزمخشَري : ((عزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب ، فقال : يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف)) (١٨).

نلحظ بساطة النص الخبري السابق عن طريقِ سردهِ لحادثةٌ واحدةً دونَ شرحً أو ذكرَ التفاصيل ، إذ تنمو بنية الخبر البسيطة أفقياً ، بعيداً عن التفاصيل ومنها المؤشرات المكانية والزمانية والوصف ، كما يهمَّين صوت الراوي على الخبر دونَ أن يلجأ إلى إطالةِ الخطاب عن طريق تولي الشخصيّات لزمام السرد ، لذا أدى الخبر بعده الوظيفي بنقلهِ الحوارية التي بين شخصيّن ، وما نتج عنها من قول دونَ الحاجة إلى التفصيل بالقول أو الاستعانة بالأحداث الجانبية . وتقوَّم نسبةً كبيرةً أخرى من الأخبار ذات البنية البسيطة على المقابلةِ بين فعل وردَّ كثيراً مما ترد هذه المقابلة في صورة المخالفة التي ينجرَّ عنها عقاب أو عفو سواءً أمرَّ ذلكَ بواسطة الشفاعة أم لم يمرَّ ، ولنأخذ على ذلك خبر الزمخشَري ، إذ يقول : ((حدثني إبراهيم بن السندي قال : بينا الحسن اللؤلؤي في بعض الليالي بالرقة يحدَّث المأمون ـ والمأمون يومئذِ أمير ـ إذا نعس المأمون فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ! ففتح المأمون عينيه وقال " سوقي والله ، خذ يا غلام بيده))(١٩). ولقد جاء هذا الخبر نفسه في صيغة أخرى هي التالية : ((حدثني إبراهيم بن السندي قال : بينا الحسن اللؤلؤي يحدّث المأمون ليلاً وهو بالرّقة ، وهو يومئذِ ولي عهد ، وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون ، فقال الحسن : نعست أيها الأمير ! ففتح عينه وقال : سوقي وربَّ الكعبة ! يا غلام خذ بيده)) (٢٠).

نرى وجوه التشابهَ بينَ النصّين كثيرةً ، وأهمها ذلكَ الترابط فيهما بينَ خطأ اللؤلؤي وصرف المأمون إياه ، إلا أن الخبر الثاني أكثرَ إلحاحاً على هذه الصلة بينَ فعل اللؤلؤي ورد فعل المأمون، فقد نصَّ على أن المأمون كان وقت وقوع الحدث ولياً للعهد في حينَ لم يذكر في الصيغة الأولى إلا إنه كان أميراً . وربط بينَ تلكَ الإطالة وبينَ نعاس المأمون برباطِ سببي من خلال (حتى) ، في حين لم يذكر من شأن هذه الصلة في الخبر الأول إلا أن الحديث كان ليلاً فجاء نعاس المأمون ممهداً له بـ " إذا " الفجائية . إن هذا التحويل الذي أجراه الزمخشَري على خطابِ الخبر إنما جاءَ لبيان هذه الصلة بين المخالفة والعقاب في مستوى الوقائع ، وكثرة هذه البنية الحداثية البسيطة في الأخبار التي تغلب عليها الأفعال . ونجدَ نوع آخر من الأخبار البسيطة ما يسميه محمد القاضي بنية التحويل ، وقوَّام هذه الأخبار ((مقابلة بين وضعين في مستوى ملفوظات الحالة أو ملفوظات الفعل . ومعنى ذلكَ أن الخبر يقودنا من أتصاف الشخصيّة بسمة إلى

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

أتصافها بعكسها ، أو من قيام الشخصيّة بعمل إلى قيامها بنقيضه)) [٢١]. وبعبارة ادق أن التحويل ((يتوفر في حال الانقلاب من صفة إلى أخرى غير متوقعة أو انجاز فعل كان يتوقع عكسه)) [٢٢]. لذا يحول الشخصيّة من الجهل ِإلى العلم ِ، أو من الشدة ِإلى الرقة ِ، أو من الشكِ إلى اليقين وهكذا ، نجدَ كثرة هذا النوع من الاخبار ذات البنية التحويلية في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري، ومن ذلك قول الراوي : ((قال معاوية لعمرو بن العاص يوماً : امض بنا إلى هذا الذي تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءته يريد عبد الله بن جعفر ، فدخلا عليه وعنده سائب خاثر ، يُلقي الغناء على جواريه ، فأمر بتخليتهن ً، وتنحيً لمعاوية عن سريره ، فقال معاوية : أعد علينا ما كنت فيه ، فغنى سائب بقول قيس بن الخطيم :

ديـــار التـي كـــانت ونحن على منىً نحـــل بهـا لـــولا نجـاء الـــركـــائب

ورده الجواري معه ، فحرك معاوية يديه وتحرك ، ومد رجليه يضرب بهما وجه السرير فقال له عمرو : اتئد ! فإن الذي جئت تلحاه ، أحسن حالاً منك وأقل حركة . فقال معاوية : اسكت فكل كريم طروب)) [٢٣].

نلحظ في هذا الخبر السابق قائمَ على تحويل لصورة معاوية من الشدة والحزم إلى الرقة والطرب ، وهاتانَ الحالتانَ تتحكمانَ في حركة السرديَّة في النص [٢٤]. فهما اللتانَ انجزَت عنهما الأعمال الرئيسة فيه وهي المضي والسماع والطرب . لذا يمكنَ القول لا ينبغي أن نخلطَ بين هذا التحويل وما به يكونَ الكلام سرداً وهو التحوَّل ، الذي يتوفر في حال الانقلاب من صفة إلى أخرى غير متوقعةً أو إنجاز فعل كان يتوقع عكسه . لذا جاءَ الخبر مقابل بينَ وضعين في مستوى ملفوظات الحالة أو ملفوظات الفعل . وما أكثر ما يكون المقام السرديّ مطيّة لإيراد القول . وهذه ظاهرة بالغة الأهمية ؛ لأنَّها تُكشف لنَا عن سرَّ من أسرار الخبر الأدبي يتمثّل في انقطاع السرديّة فيه بحلول القول المقصود ونورد على ذلكَ قول الزمخشَري إذ يقول : ((حدث الأعمش عن أبي وائل قال : ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي ، فجلسنا عنده فقال : لولا أن رسول الله نهانا عن التكلف لتكلفت لكم ، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا أبزار عليه ، فقال صاحبي : لو كان في ملحنا صعتر، فبعث سلمان بمطرته فرهنها على الصعتر ، فلما أكلنا قال صاحبي : الحمد لله الذي أقنعنا بما رزقنا . فقال سلمان : لو قنعت بما رزقك الله لم تكن مطهرتي مرهونة)) [٢٥].

يظهر الراوي في الخبر شاهد عيان عندما ذهبَ مع صاحبه إلى سلمان الفارسي فجلسا عنده ومن ثمَّ جاءَ بخبز وملح ِساذج لا أبزار عليه ، وقول صاحبه (الحمد لله الذي أقنعنا بما رزقنا) إذ كانوا في حالةٍ مغايرة ٍمن اليأس إلى القناعةِ والرضا بما رزق الله ، لذا كانت صفات الشخصيّات في النص الخبري شيئاً وانتهت إلى شيء آخر مختلف . أما إذا نظرنا إلى مكان وزمان الحدث نجد أنَّهما يمتدان قدرَ وحدة َالأخبار البسيطة ، والحدث أيضاً يقوّم بالأساس على عملية أخبار واحدة . ومن نماذج هذا النوع من الخبر البسيط ما ينقله لنا الزمخشَري ، إذ يقول : ((قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على رسول الله عليه السلام من عند النجاشي وقد افتتح خيبر، فتلقاه واعتنقه وقبل عينه، وقال : بأبي أنت وأمي . ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أو بقدوم جعفر ؟)) [٢٦].

فالبنية في الخبر بنية بسيطة غير مركّبة ، تنقل لنَا حدث موحد عكس البنية المركّبة التي تقوَّم على تراكم الأحداث ، وتداخلها بطرق عدَّة كذلكَ البناء السرديّ في البنى البسيط لا يقوَّم على الانسجام التام والتفاعل بين مكوناتهَ ، فالشخصيّات في الأغلب لا تؤدي وظيفةً كبيرة والاحداثَ واضحةً ، ومن ذلكَ نستنتج أن البساطة التي يتميز بها الخبر تفرزها بلاغة الايجاز في السرد ِ والانتقال السريع بينَ الأدوات السرديّة التي تربط البداية بالنهايةِ فالخبر البسيط جاءَ في هذه الحادثةِ حول فرحة الرسول صلى الله عليه وسلم بينَ سروره المتنقل والمتحول من فتح خيبر وقدوم جعفر، فدل الحدث على بنيةً تحويلية قائمةً على حدث واحد وإذا عرفنا هذا البناء ننتقل إلى البنية ِالمركّبة التي تكونَ أكثر تقدَّماً على مستوى البناء ِ، إذن فالخبر البسيط

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

قائم على سرديّة واحدة ، أو حدث رئيسي أو واقعة تاريخية ، كما يمكنَ أن يكونَ بنية تحولية من حدث إلى أخر أو سردية تقابلية بينَ حدثينَ ، فكل ما تقدَّم واقع بحدث بسيط واحد نقله لنا الراوي .

ويتمَّ سرد بنية الخبر البسيط ((وفق توالد حكائي أفقي وهو البناء الذي يلحق البنيتين الحكائيتين بالانتقال من بنية الخبر البسيطة إلى بنية الحكاية المركّبة)) [٢٧] . توصل سعيد جبار إلى فكرة هي أن هذا الانتقال بين تلكَ البنيتين يتم ((عبر ادماج التفاصيل الحكائية للحدث الواحد وتفريعه بتوسيع النسق الحكائي وهو ما ينتج التنويع والتعدد على مستوى البنية السرديّة في مكوناتِها المختلفة ففي مقابل الصيغة ووحدة الصوت السرديّ المهيمن في خطاب الخبر البنية السرديّة البسيطة ، ((تصادف تنويعاً صيغياً بإدماج الخطاب المعروض بقوة)) [٢٨] . وذلكَ بإسهام شخصيّات فاعلة ، يتم بها تطوير الحدث ، فتتميز هذه البنية الخبرية المركّبة باشتغال خطاب الأحداث إلى جانبِ خطاب الأقوال على حد تعبير جيرار جنيت [٢٩]. إن الخبر البسيط يتميز من الخبر المركّب بوحدة الحدث ، وتكون أحداثه غالباً خارج عنصري الفضاء والزمن الذي يغيب ليجعل الحدث مفرداً يهتم بوصف عوالم ممكنة وشخصيّة عامة وعادية كما يقدَّم الفضاء صفة العام في خصوصية الخبر أو الحدث الذي يكون خارج ملامح تلكَ الفضاءات وهذا ما يميز خطاب الخبر من باقي الخطابات الأخرى ، منها خطاب الحكاية وذلكَ يتجلّى في خصائص الخبر الأربعة ، التي ذكرها سعيد جبار وبالأخص خاصية الواقع الدافع إلى التفكير وهذه الخاصية التي يتميز بها الخبر البسيط هي ما يجعل مسار التوالد السرديّ ينقل من البسيط الأولي إلى ذلكَ المركّب المتولد أو المتفرع عنه .

٢- البنية المركبة (الخبر) :

تقوَّم البنية المركّبة على التركيبِ الذي ينشأ من تكرار لبنية بسيطة واحدة ، أو على نظام التسلسل الذي يتمثل في مجرد رصفَ حكايتينَ أو أكثر ومجاورتهما . فبعد الانتهاء من الحكاية الأولى يتم الشروع في الحكايةِ الثانية [٣٠]. ويُسم أحياناً تضافر لحظات سرديّة عدةً في التشكّل البنائي للخبر، إذ تسمح طبيعة الخبر بهذا التشكّل ؛ ذلكَ أن الخبر بنيةً بسيطةً مُنفتحةً يُمكنَ أن توسَّع وتركّب وتتعقّد، لِتُنتج أخباراً مركّبة على أن البنية المركّبة للأخبار لا تقتصر على التأليف بينَ البنى البسيطة، وإنَّما نجدَ بنى أخرى أهمَّها بنية الخبر المركّب وهو ((وهو ادخال قصة في قصةٍ أخرى)) [٣١]. الذي يأتي فيه خبر داخل خبر أخر ، فالخبر الأول يمثل اطاراً بالنسبةِ إلى الخبر الثاني . ويسمى الخبر الأول الإطار ، والذي يأتي داخل الخبر الإطار المؤطّر .

والتركيب من العلاقات التي تطرأ على الأخبار في سيرهِا الزمني ((وهي تظهر خاصة في طور نموَ الأخبار حيت سعى جامعوها إلى التأليف بينها في مساقٍ واحد ، على نحو ما ظهر في عدد من قصص العشّاق والشعراء والمغنّين)) [٣٢]. فالبنية البسيطة للخبر ليست ثابتة ، إذ لها أن تسفر عن بنيات مركّبة إذا ما تضافرت بناها ورصفت مع بعضها في ضمنَ علاقات محدَّدة لذا قد يكونَ هذا التركيب متشكّلاً ضمنَ بنيتينَ ، الأولى : بنية التضمين التي تتمثّل في إدراج خبر مستقل في خبر آخر لِسبب من الأسباب ، نحو وحدة الشخصيّة ، أو تقارب المواضع ، أو غير ذلك)) [٣٣]. والثانية : بنية النظم ، وهي ناشئة عن حوادث متعدِدة منفصلة يجمع بينها سياق مخصوص[٣٤]. وأن التحول من البسيطِ إلى المركّب في الخبرِ يتم من خلالِ تراكمَ في مستوى الأحداث من جهةٍ وفي التقنيات المختلفة التي يتم عن طريقها توسَيع البنية الحكائية للخبرِ من جهةٍ أخرى إلا أن هذا التراكم ((لا يعني التوظيف المجاني بهدف الاطناب أو التطويل لإثارة القارئ كما يزعم البعض ، أن الراوي وهو ينتقل في الزمان والفضاء ينقلنَا من حدث إلى آخر مختلف تماماً... وهو في كل هذه الحالات يمسك خيط الحكي بمهارة وصرامة)) [٣٥]. وإن ذلكَ التركيب من شأنَه

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

أن يعطي الخبرَ المركّب طابعاً حكائيًا قائماً على تراكميَّة الوحدات السرديّة البسيطة في ضمن سياق مخصوص للخبر الأدبي .

كما أن تراكب الأخبار أو تراكمها في سياق الخبر الواحد من شأنه أنَ يوسعَ من دائرة الأحداث ، وهو ما يدفع إلى بروز شخصيّات أخرى تُؤدّي دورها في البنيةِ السرديّة للخبر ، وقد يؤدّي ذلكَ أيضاً إلى تنوّع في الأمكنة والأزمنة مع احتفاظ الشخصيّة الرئيسة أو الحدث الرئيس بمقام الصدارة داخل البناء السرديّ للخبر المركّب . لذا يرى شكلوفسكي أن بنية الخبر المركّب هذه متصلة بالمكتوب ؛ وذلكَ لأن طول النص يحول دونَ السنة الشفوية ودونَ الربط المحكم بين مختلف أجزائه [٣٦]. وهذا الرأي قد يكونَ موفقاً على الوحدات الحكائية الكبرى أي ذات البناء المركّب والمعقد جداً ، فإن ((المعيار المعتمد في تصنيف المتون السرديّة هو الزمان ، وصور توالي الأحداث فيه من ناحية ترتيبها متعاقبةً أو متداخلةً أو متوازيةً أو متكرِّرةً)) [٣٧].

ولذا شاعَ هذا النوع من الخبر المركّب أو القصة َداخل القصة كما يسميها جيرار جنيت وتودوروف في الحكايات الشعبية والقصص القديمة وفي تلكَ التي تتناقل مشافهة ، ومن الأمثل على ذلكَ (ألف ليلة وليلة) ، فداخل الحكاية الاصلية مجموعة حكايات ، ومن هذه الأخيرة تتولد حكايات أخرى وهكذا [٣٨]. وكذلك البنية الحكائية المركّبة ، لا يمكنَ تفسيرها بطريقةٍ موحدةٍ ، فهي تستمدَ تصوراتَها من مراحل حضارية مختلفة أشد الاختلاف ومن مجالات حياة متميزة ، ثمَّ هي تعيد تشكّيلها [٣٩]. ويرى سعيد جبار أن الخبر المركّب فهو ذلكَ التمازج بين المسار الأفقي والعمودي معاً ، إذ ينمو الخبر المركّب وفق تعدد الشخصيّات ، وبالتالي تعدد الأحداث وتطوّرها في أمكنة وفضاءات متنوعة ، ذلكَ ما يضمن تعالقاً في الوظائف ، وهو المرور من وظيفة إلى وظيفة أخرى تكون َمتفرعة ومتضمّنة مشكّلة بذلكَ بناء عمل حكائي الذي يصير بنية كبرى داخل النص الحكائي [٤٠]. ومن نماذج الخبر المركّب الخبر الذي أورده الزمخشَري عن حادث بشير الرحال و مطر الوراق والذي يقول فيه : ((أتي المنصور ببشير الرحال ، ومطر الوراق ، مكبلين ، وقد كانا خرجا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، فقال لبشير : أنت القائل أجد في قلبي غماً لا يذهبه إلا برد عدل أو حرَّسنان ؟ قال : نعم ، قال : فو الله لأذيقنك حرَّ سنان يشيب منه رأسك ، قال : إذن اصبر صبراً يذل به سلطانك . فقطعت يده فما قطب ولا تحلحل . وقال لمطر : يا ابن الزانية ، قال : إنك تعلم أنها خير من سلامة ، قال : يا أحمق ! قال : ذاك من باع آخرته بدنياه فرمى به من سطح فمات)) [٤١].

يقوَّم هذا الخبر على أساس التتابع الحدثي (كانا خرجا مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فو الله لأذيقنك حرَّسنان يشيب منه رأسك ، فقطعت يده فما قطب ولا تحلحل ، فرمى به من سطح فمات)، وهذا التتابع تسبقه مقدمة حدثيه تُمهد القول له (أتي المنصور ببشير الرحال ومطر الوراق ، مكبلين) ، يمكنَ أن تُعدّ تأطيراً زمنياً للخبر، كما يتُضح التأطير المكاني الدقيق للخبر (آخرته بدنياه ، فرمى به من سطح) ، وكذلكَ لا يخفى على قارئ الخبر تعدد شخصّياته (المنصور ، بشير الرحال ، مطر الوراق ، إبراهيم بن عبد الله بن الحسن) ، وما دارَ بينهم من حوار، وبذلكَ تعاضدت هذه العناصر السرديّة على بناء بنية خبرية مركّبة تنقل القارئ عبرَ أحداثهَا وصولاً إلى نهاية ِالخبر . ونلحظ شيئاً في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري ، من أخبار قد تشكّل تركّيبياً على وفق بنية النظم التي جمعت بينها ، من ذلكَ في سياقه المخصوص مواقف رواها الزمخشَري وكل وحدة سرديّة مستقلّة منفصلة عن الأخرى بيد أن ما سمحَ بتضافرها تركّيبياً سياقها المخصوص، كمثل التركّيب الذي كان بين َأكثر من وحدة سرديّة مستقلّة رواها الزمخشَري، إذ يقول في أحد أخباره : ((اجتمع الشعراء عند موت المهدي ، واندسَّ بينهم

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

اسكاف فأنكروه فسألوه ، فقال : شاعر ، فاستنشدوه فقال : مات الخليفة أيها الثقلان ، فأعجبوا بمفتتح شعره ، فقالوا : تمر في المصراع الثاني ، فقال : فكأنني أفطرت في رمضان . فاستضحكوا منه)) [٤٢].

نجد في هذا الخبر السابق أن الراوي لا يكتفي بهذه المواقف ، بل يتابع سوق المواقف التي انتظمت إزاء النص السرديً، وهو ما أعطى التركيب الخبري طابعاً حكائياً ((وهذه الأفعال السرديَّة تنتظم في سلاسل تكثر أو تقل حسب َطول أو قصر الحكاية . بل كل سلسلة يشدُ أفعالها رباط ًزمنيَّ منطقي))[٤٣]. وقد تكونَ الوظيفة الخبرية التي يسعى إلى تحقيقها الراوي من دواعي التركيب الخبري ، وعلى قدر اتساع مرويَّاته يتسع الخبر الناتج عنها [٤٤].

وبذلكَ التركيب الخبري صورة الإجمال والتفصيل ، فيذكر الخبر مجملاً، إذ يسوقنا الزمخشري في أحد أخباره : ((هجت ابن أبي عتيق امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية بقولها :

ذهب الإلـه بمـا تـعيش بـه وقمـــرت ليلك أيمـــا قـمـــر
أنفقت مـــالك غيـر محتشم في خـــدر زانيـــة وفي خمـر

فكتب البيتين في رقعة وأراها ابن عمر . فاسترجع ، لمـا رآها ، فقال : والله لو رأيت قائلها لأفعلن به . فأخذ ابن عمر أفكل وأربدّ، لونه وقال : مالك غضب الله عليك !)) [٤٥].

يمثل هذا الخبر حكاية الاطار، ولكي تبرز شخصيّة عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية من خلال فعلها في هجاء زوجها ابن أبي عتيق ، يتم فيه قطع الخبر ، وتبدأ حكاية أخرى تبرر هذا الفعل ((فلما كان بعد أيام لقيه ، فأعرض عنه ، فقال : بالقبر ومن فيه ألا سمعت كلامي فتحوب ووقف معرضاً عنه ، فقال : علم أبا عبد الرحمن أني فعلت بقائل ذلك الشعر فصعق عبد الله ولبط به . فدنا من أذنه وقال : إنها امرأتي . فقام ابن عمر وقبل ما بين عينيه)) [٤٦].

لذا نجد العلاقة بينَ هذينَ الخبريَن أو الحكايتينَ هي علاقة تعليلية وسببية للفعل الذي قامت به شخصيّة عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية داخل الخبر الأول ، مما دفع هذه الشخصيّة تبرير موقفهَا أو سلوكهَا في هجاء زوجها ابن أبي عتيق ، ويتخذ هذا الاقناع والتبرير شكّل خبر مؤطر لكي يستعمله الخبر الاطار حجة على وجاهة السلوك وسلامة الموقف وسداد الراوي وإقناع المروي له / المتلقيّ بحسن ذلكَ الفعل والاختيارَ [٤٧]. كما أن أهمية الخبر المؤطّر هنا يفوق الخبر الاطار أي الخبر الأول والحكاية الابتدائية التي بدأتها عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومي التي بقيت نفسيتها خارج الخبر خلافاً إلى شخصيّة ابن أبي عتيق الذي استعانَ بشخصيّة ابن عمر وقبله ما بينَ عينيهَ ، وكان أيضاً داخل الحكاية المؤطّر ومشاركاً فيها .

أن التركيب على مستوى الأحداث يسايره تركيب على مستوى الخطابِ ، إذ يفسح الراوي الخارجي المجال لشخصيّات خبره تقديَّم خطابَها المباشر كما يتجلّى في الخبر التالي : ((أراد عمر أن يعزل المغيرة بن شعبة عن العراق بجبير بن مطعم وأن يكتم ذلك . وأمره بالجهاز فأحس بذلك المغيرة ، فأمر جليساً له أن يدس امرأته ، وكانت تسمى لقاطّة الحصى ، لتدور في المنازل حتى دخلت منزل جبير بن مطعم ، فوجدت امرأته تصلح أمره ، فقالت : إلى أين يخرج زوجك ؟ قالت : إلى العمرة . قالت : كتمك ، ولو كانت لك عنده منزلة لأعلمك . فجلست متغضبة ، فدخل عليها جبير وهي كذلك ، فلم تزل به حتى أخبرها ، وأخبرت لقاطة الحصى ، ودخل المغيرة على عمر فقال : بارك الله لأمير المؤمنين في رأيه وتوليته جبيراً . فقال : كأني بك يا مغيرة فعلت كذا ، فقص عليه الأمر كأنما شاهده ، وقال : أنشدك الله هل كان كذلك ؟ قال : اللّهم نعم . ثم صعد المنبر فقال : أيها الناس من يدلني على المخلط المزيل نسيج وحده ؟ فقام المغيرة فقال : ما يعرف ذلك في أمتك أحد غيرك . فولاه ، ولم يزل والي العراق حتى طعن عمر)) [٤٨].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

يتألف هذا الخبر من جملة من الأحداث المختلفة والتي تحكمها علاقة تعليلية وسببية كما يمكن أن يلمح فيه القارئ / المتلقيّ تعدد الشخصيّات (عمر ، المغيرة ، جبير بن مطعم) ، ودخول شخصيّات جديدة على طول الامتداد الخبري (الجليس ، لقاطة الحصى ، امرأة جبير) بالإضافة إلى تغير الأمكنة وتوالي الازمنة ، وهي مؤشرات على تركيب الخبر . يضاف إلى ذلكَ اعتمادَ الراوي على الرؤية من الخلف ، واعطاء شخصيّاته قابليةً أكثرَ على الحركة والتفاعل السرديّ عبرَ الحوار الذي يعطي الشخصيّات الحرية في التعبير عن نفسها وتبرير العمل الذي تقوَّم به . وغالباً ما تحتوي الأخبار الإطار على أخبار مؤطِّرة قائمة على السرد التنبئي الذي تقوَّم به إحدى الشخصيّات الرئيسة في الخبر، و ((يقدَّم على أنه سابق للوقائع فهو لا يذكر ما حدث وإنَّما يروي ما سيحدث بعد زمن قصيرَ أو طويلَ من لحظة السرد)) [٤٩].

لذا يتم قطع الخبر الإطار عن الحكي بوساطة هذا النوع من السرد ، مثل ((رفعت قصص إلى المهدي فإذا قصة مكتوب عليها قصة صاحب السمكة . فقال : ما هي ؟ فقال الربيع : بينا أبوك مشرفاً على دجلة إذ بصر بملاح صاد سمكة ، فوجه إليه خادماً له يشتريها ، فاستامها بدينار فأبى ، وباعها من تاجر باثني عشر درهماً . فاستحضر التاجر وقد سوى السمكة فأخذها منه وأكلها وقال : لو لم يكن معك مال لما اشتريت سمكة باثني عشر درهماً . وأمر خادمه بأن يذهب إلى منزله ويحمل ما أصاب في صناديقه . فجاء ببدرتين ، فقال : أنا رجل معيل وعلي مؤونة . فأعطاه منها أربعمائة درهم يتعيش بها))[٥٠] .

وبعد ذلكَ تقوَّم شخصيّة المهدي بسرد تنبئي سابق للمروي ((فأمر المهدي أن تطلب البدرتان في بيت المال ، فجيء بهما مكتوب عليهما مال صاحب السمكة ، فقال المهدي : اجعل أبي في ، حل ِ فإنه كان مسرفاً على نفسه ، وخذ المال)) [٥١]. فهذا السرد الذي قام َبه المهدي بدافع من الراوي الاول هو سرد تنبئي ومجاله ((النبوءات والاحلام وقصص نهايات الكون والتنجيم واجابات الكهنة عن استشارات البشر ... تمثّل استباقاً لما سيحدث في حياة الشخصيّة الرئيسة . فهي وسيلة إلى الاعلام بما سوف تلقاه الشخصيّة في الحياة الاخرة)) [٥٢] . وهذا ما نجده في حياة الدنيا مثل ما قامت به شخصيّة المهدي ، والسبب الذي دفعة إلى معرفة قصة صاحب السمكة التي أراد أبوه أن يشتريهَا من الملاح الذي صاد السمكة ، وهذا ما جعل جيرار جنيت يرى أن السرد التنبئي لا يظهر ((الا في المستوى الثاني من السرد ، إذ تكونَ احدى شخصيّات القصة هي المتنبئة بما سيحدث . وهو ما يعني أن الحكايات التنبئية المضمّنة لا تُكتسب صفتها السرديّة التنَّبئية إلا في علاقتها بالمستوى السرديّ المباشر الذي يجتمع فيه الراوي المتنبَّئ وهو شخصيّة من شخصيّات القصة ، والمروي له المستمع اليه في زمن محدد، وهو شخصيّة قصصية أيضاً أما الراوي في المستوى الأول من السرد فهو يروي قصة النبوءة ويروي الأحداث اللاحقة التي قد تؤكّد تحققها أو عدم تحققها)) [٥٣]. ومثل الخبر السابق خبر آخر يقوَّم أيضاً على السرد التنبئي الذي يأتي داخل الخبر الاطار، وهو لما عزم الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا ، فقد رأى شيئاً يحدث له في المستقبل إن فعل ذلك حتى جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد . إذ يقول الخبر : ((رأى الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا فطلق هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة . فلم ينشب أن جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد . فقال : والله هذا تأويل رؤياي من قبل ، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون محمد ومحمد في يوم واحد ! ثم أنشأ يقول :

حسبي حيـــاة الله من كــل ميت وحسبي بقــاء الله من كل هــالك)) [٥٤].

يقدَّم لنَا هذا الخبر خبراً تنبئياً إطارياً يفتتحه الراوي بصوت خارجي ينقل ما دارَ من أحداث تأويلية عبر رؤية الحجاج في منامه أن عينيه قلعتا . وهنا تتمثل الانطلاقة لسرد خبر تنبئي وفي نفس الوقت يكون خبراً ضمنياً يتحول فيه الراوي إلى شخصيّة مشاركة تبدأ بسرد أحداث دارت ما بين عدد من الشخصيَّات منها،(

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

طلق هند بنت المهلب وهند بنت أسماء بن خارجة) ، (جاءه نعي محمد أخيه يوم مات ابنه محمد) . وفي هذه النقطة تتم العودة إلى الخبر الاساس فيواصل الحجاج حديثة في تأويل رؤيته ، وبهذا يمكنَ القول أن الخبر الاطاري قد انقسم إلى قسمين أحتل الاول بداية النص ليكونَ ممهداً لإيراد الخبر المضمن ، أما الثاني فقد جاءَ في النهايةِ معلناً عن نهايةِ الخبر الاساس، وكذلكَ تتضح بنية التسلسل فهي حكاية تتكونَ من خمسة أخبار يتبع بعضها بعض تتابعاً تسلسلياً ، وبمجرد ما تنتهي الوحدة الأولى تبدأ الوحدة الثانية وهكذا حتى نهاية الخبر الذي يُعدَ من الاخبار الطويلة في الكتاب ، والجامع بين هذه الوحدات هي القصيدة التي كانت أشبه بالشخصّية داخل الحكاية [٥٥]. وبناء التسلسل قد يقوَم على الجمع بينَ حكايتينَ متشابهتينَ مثل ما روي الزمخشَري، إذ يقول : ((سرق رجل من مجلس أنو شروان جام ذهب ، وهو يراه فلما فقده الشرابي قال : والله لا يخرج أحد حتى يفتش ، فقال أنو شروان : لا تعرضن لأحد فقد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه . وسرق رجل من مجلس معاوية كيس دنانير وهو يراه ، فقال الخازن : قد نقص من المال كيس دنانير ، فقال : صدقت ، وأنا صاحبه وهو محسوب لك)) [٥٦].

فالمتابع للحدث يرى أن الراوي قد ساقَ حادثتينَ متشابهتينَ واحدة حصلت في زمن كسرى والأخرى في زمن معاوية ، والتشابه بينهما هو العفو والرحمة نحو سارقهما ، فولد هذا التشابه خبر مركّبَ قائَم على حدثينَ متشابهينَ . ومن ذلكَ أيضاً يسوقنَا الزمخشَري ، إذ يقول : ((كان في زمن بني إسرائيل جارية متعبدة تسمى سوسن ، تخرج إلى مصلى يليه شيخان ، وكان بجنبه بستان تتوضأ فيه ، فعلقها الشيخان فراوداها عن نفسها ، فأبت ، فقالا : لئن لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا ؛ فقالت : الله كافي شركما . ففتحا باب البستان وغيَّطا ، فغشيهما الناس ، فقالا : وجدناها مع شاب يفجر بها وانفلت من أيدينا . وكانوا يقيمون الزاني للناس ثلاثة أيام ، ثمَّ يُرجم . فأقاموها ، وكانا يدنوان منها يضعان يديهما على رأسها ، ويقولان : الحمد لله الذي أنزل لك نقمته . فلما أريد رجمها تبعهم دانيال ، وهو ابن ثنتي عشرة أول ما تنبأ ، فقال : لا تعجلوا ، أنا أقضي بينهم . فوضع له كرسي ، ففرق بين الشيخين ، وهو أول من فرق بين الشهود ، فقال لأحدهما : ما رأيت ؟ فذكر حديث الشاب ، فقال : أيَّ مكان من البستان ؟ فقال : تحت الشجرة الكمثري . وسأل الآخر فقال : تحت الشجرة التفاح . وسوسن رافعة يديها تدعو بالإخلاص . فأنزل الله ناراً فأحرقت الشاهدين ، وأظهر براءتها)) [٥٧].

فهذا الخبر ذو بنيتينَ أحدهما مرهونة بالأخرى ، الأولى (كان في زمن بني إسرائيل جارية متعبدة ، تسمى سوسن ، تخرج إلى مصلى يليه شيخان ، وكان بجنبه بستان تتوضأ فيه فعلقها الشيخان ، فراوداها عن نفسها ، فأبت ، فقالا : لئن لم تمكنينا من نفسك لنشهدنَّ عليك بالزنا) وثانيهما (فلما أريد رجمها تبعهم دانيال ، وهو ابن ثنتي عشرة أول ما تنبأ ، فقال : لا تعجلوا أنا أقضي بينهم فوضع له كرسي ، ففرق بين الشيخين) ، وبذلكَ تصبح نافذة الحل مستحيلة عقلاً ووفقاً للسنن الطبيعية يأتي حل هذه الأحداث والافعال على يد الله بالتسلسل وسوسن رافعة يديها تدعو بالإخلاص، (فأنزل الله ناراً فأحرقت الشاهدين ، وأظهرَ براءتها) ، وهذا الحل الثاني الذي أسهم مباشرة بالحل الأول فدلته عليه وهو يفرق بين الشهود فقال لأحدهما : ما رأيت ؟ (فذكر حديث الشاب ، فقال : أيَّ مكان من البستان ؟ فقال : تحت الشجرة الكمثري وسأل الآخر فقال : تحت الشجرة التفاح) ، ونلحظ هنا أن الحدث الأول أو العقدة الأولى جاءت حلهَا أخيراً عبر تنبأ دانيال وتفريقه بينَ الشيخينَ الذي جاءَ في بؤرة الأحداث والذي جاءَ حله اولاً ، ولو اتبعَ الراوي ترتيباً اخراً في البناء لم يحصل هذا الحل فكل حدث مرتبط بعناق حل وموقوف عليّه . ولكي يعود الحدث الرئيسي إلى حالة التوازن لابد من أحداث شيء خارج العقل وخارق لقوانين الطبيعة ، وقد تمثل ذلكَ بإدخال سوسن الجارية كشخصّية تغييرية لأحداث الروي وتحولهَا من حالة الاتهام بالزنا والفجور إلى

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

حالة حرق الشاهدينَ وإظهار براءتها التي دفعت الاحداث نحو الحل عبر تنبأ دانيال ، يبقى أن الشخصية الرئيسة هنا هي الله ، فهو صاحب الحدث وهو أيضاً صاحب الحل ، وهذا يدخل في الأخبار الخارقة للطبيعة . كذلكَ خبر علي بن عيسى بن ماهان الذي جاءَ في " الباب التسعون " من الأخبار المتفرقة الذي تنشئ بنيته المركّبة عن الجمع لبنى بسيطة متعددة ، فتكونَ بذلك وحدة حكائية مركّبة في مستوى أحداثهَا ، ومكتفية في افعالها ، إذ يقول الراوي : ((قدم علي بن عيسى بن ماهان على الرشيد من خراسان ، فسأله أن يركّب مع خواصه إلى الميدان لينظر إلى هداياه . وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالآس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وعليهم اللباس المرتفع والمناطق المعرقة بالفضة ، وبيد كل واحد شهري ، من فره ، الدواب ، كلها مجللة مبرقعة بالديباج ، وعلى رأس كل غلام عمامة من جنس لباسه . وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية ، عليهن الديباج والمناطق المعرقة بالذهب ، مسبلات الشعور ، على كل واحدة تخت ، ثياب من الملحم ، الفاخر وغيره . وقد بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع ، صبت عليها الأموال حتى صارت جبلاً عظيماً ، وبحذائها نوافج ، المسك مثلها . فلما رجع (الرشيد) فنزل قال : يا جعفر أين كنا عن هذه الأموال قال : يا أمير المؤمنين أسرك أن أخذ علي بن عيسى أموال الفقراء والأرامل وجاءك بها ناراً يتقرب بها إليك ؟ والله لتعلمن إذا وضحت الأمور أنك تستوخم فائدتها ، ولتنفقن بدل كل درهم ديناراً . ثم لا تنجو . فقال موسى الهادي : عادلت الرشيد حين خرج إلى خراسان ، فتنفس تنفسه كادت نفسه تخرج، ثم قال : لله جعفر بن يحيى ! وذكر كلمته ، وقال : كانت أقوى الأسباب في تغيري ، للبرامكة . وقد والله أنفقت بدل كل درهم ديناراً ، وأراني لا أنجو))[٥٨].

نجد في هذا الخبر السابق أن زمنَ الأحداث يسير على وفق وتيرة واحدة تقوّم على البناء المتتابع عبر تولي ((سرد الأحداث الواحد تلو الآخر، مع وجود رابط بينهما))[٥٩]. وهذا البناء على مستوى الأحداث والزمان عرف بشكل واسَع في القص التقليدي ، لذلكَ يرى ادوين موير أن ((أبسط شكل للقصص النثري هو قصة تحكي سلسلة من الأحداث))[٦٠]. لذلك يقوّم الراوي بتلخيص خمس وحدات سرديّة مع وحدة المنام ويلتزم التتابع في ذلك .

وكذلكَ تقوّم الوحدات الخبرية البسيطة في هذا المروي على ما يمكن ((ببنية وهي تظهر في الأخبار التي تستهل بحالات وافعال لا يبين الحافز عليها ولا السر فيها ، فهي تنطلق من وضع غامض أو مفارق للمألوف أو الواقع ، ثم لا تلبث أن تقدّم لنَا تفسيراً تؤول به السرديّة إلى الاستقرار))[٦١]. فهي تظهر النتائج وتخفي الأسباب ، فكل فعل امر من هذه الأفعال لا يعرف المأمور به سببه أو علته (أن يركّب مع خواصه إلى الميدان ، لينظر إلى هداياه ، وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالآس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية ، بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع) ، وهذه هي النتائج أما السببية فهي تأتي بعد ذلكَ ، وتسمى هذه السببية غير الصريحة ، التي تجبر القارئ المضمر إتمام العمل الذي امتنع الراوي عن القيام به ، وهي سببية ضرورية لإدراك العمل السرديّ[٦٢]. وكذلكَ نجدَ أن كل فعل داخل هذا المروي هو عبارة عن وحدة بسيطة فالوحدة الأولى هي ((قدم علي بن عيسى بن ماهان على الرشيد من خراسان ، فسأله أن يركب مع خواصه إلى الميدان لينظر إلى هداياه . وقد أمر علي بكنس الميدان وفرشه بالآس والرياحين ، وأقام في أحد جانبيه أربعة آلاف غلام تركي ، وعليهم اللباس المرتفع والمناطق المعرقة بالفضة وبيد كل واحد شهري ، من فره ، الدواب ، كلها مجلله مبرقعة بالديباج ، وعلى رأس كل غلام عمامة من جنس لباسه . وفي الجانب الآخر أربعة آلاف وصيفة تركية ، عليهن الديباج والمناطق المعرقة بالذهب ، مسبلات الشعور على كل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

واحدة تخت ، ثياب من الملحم ، الفاخر وغيره . وقد بسط في صدر الميدان بسط عليها الأنطاع ، صبت عليها الأموال حتى صارت جبلاً عظيماً وبحذائها نوافج ، المسك مثلها)) ، فهذه بمفردها وحدة بسيطة وكذلك مع الوحدات الأخرى فكل منها تكادَ تكون مستقلةً بمفردهِا وعندما تنتظم ضمن تتابع الأفعال تنتج بنية ذات أفعال متراكمة ومركّبة مع بعضها وهو ما يسميه حسين الواد " بالاستتباع " الذي يتمثل في وصل ((مقطوعة بأخرى على أن تكون علاقتها بالسابقة بمثابة علاقة النتيجة بالسببِ ويستمد الاستتباع أهميته من هيمنة مبدأ النتيجة بالسببِ ويقوّم الاستتباع على وظائف المواد المكونة للنص ، فكل مادة تجد مكانتها في البناء الهيكلي النصي ؛ لأنه ستتولد عنها مادة أخرى ، أو لأنَّها متولدة بدورها عن مادة سابقة لها)) [٦٣]. نجد في هذا المحور من تماسكها وترابطها تخلق منطق بنيتها الخاص الذي يتجلَّى في منطق توالي أحداثها في ترابطها وتماسكَها وفي تحدّده بنهاية هذه الأحداث التي تقوَّم على انفتاح الخبر البسيط كما يتم توسيع البنية الحكائية للخبر عن طريق هذا التراكم في الأحداث [٦٤]. فهناك تتابع زمني وتسلسل في الافعال ، إذ يتجلَّى التركيز بالدرجة الأساس على الأحداث وتسلسلها ، وهذا التتابع الزمني والتسلسل مرهون على التشَكل الدلالي الكلي وهو تشكّل دلالي يعمل على تغطية ما يمكن أن نسميه أيضاً بالبنية الدلالية الكبرى للنص[٦٥]. فمن خلال ذلكَ يتم فهم النص بوصفهِ مجموعة من الوحدات يكوِّن بعضها بعض في سبيل إعطاء دلالة أوسع فالسرد سواء كان بسيطاً أو معقداً وسواء كان شفوياً أو مكتوباً ، فهو أوسع واكثر من أن يكونَ مجرد تسلسل زمني للأحداث إذا لم يصاحبه التشَكل الدلالي الكلي للوحدات السرديّة .

ومن ذلكَ يمكن القول قبل كل شيء التفكير في الأحداث بغية تناولها في شكّل دال واحد النسق التشكليَّ ، من خلال فعل حكم تأملي ، فلا بد من وجود معنى عاماً أو موضوعاً لما يقرأ أو يسمع ، ومن ذلكَ تكون الوظيفة المعرفية أساسية في معالجة أيَّ خبر مهما كانت درجة تعقيده أو بساطته ، ومن دونَ ذلكَ سيتعذر علينا إقامة أي تلاحم في مقطع ذي جمل عدة [٦٦]. لذلكَ عندما نقوَّم بتجمع الوحدات الصغرى ، نفهم عن طريقِها النص السرديّ حتى تصبح لدينا وحدات كبرى تُعدَّ هي الأساس بالدخول إلى الدلالة الكلّية للنص الخبري ، وكذلك التراكَم السرديّ في الأحداث يمثل الأساس في بناء البنية المركبَّة وتشكّلها ، فيركّب الراوي من مجموعة أحداثَ مع شخصيَّاتها وحدة سرديةً مركبة ، وتقوَّم وظيفة الراوي هنا في تجميع هذه الأحداث المتفرقة وإيجاد منطق سرديّ لها ، ويضعها تحت نسق الزمن الصاعد الذي نجد فيه توازياً بينَ زمن القصة وزمن الخطاب فالأحداث تأتينا بالترتيب نفسه الذي وقعت فيه بعضها يتبع البعض الآخر وهذا من دون استرجاع أو استباق وتقطيع الأزمنة [٦٧].

ويسوقنا الزمخشَري إذ يقول : ((وجد شاب قتيل بظهر الطريق أيام عمر ، فلم يقدر على قاتله . فقال : اللهم أظفرني بقاتله ، حتى إذا كان على رأس الحول وجد صبي ملقى بموضع القتيل ، فقال : ظفرت بدم القتيل إنَّ شاء الله فدفعه إلى ظئر ، وقال لها : إنَّ جاءتك امرأة تقبله وترحمه فأعلميني . فلما شب وطاب إذا هي بجارية قالت لها : إنَّ سيدتي تطلب أنَّ تذهبي به إليها ، ففعلت ، فضمته ، إلى صدرها وقبلته، وتلك بنت شيخ من الانصار . فأخبرت عمر فاشتمل على سيفه وخرج إلى منزلها ، فوجد الشيخ متكئاً على باب داره فقال : ما فعلت ابنتك ؟ قال : جزاها الله تعالى خيراً ، هي من أعرف الناس بحق الله وحق أبيها وذلك من حسن صلاتها وحسن صيامها ، والقيام بديناه ، فقال : أحببت أنَّ أزيدها رغبة ، فدخل واخرج من هناك وقال : اصدقيني خبر القتيل والصبي ، او لأضربنك بالسيف ، وكان عمر لا يكذب فقالت : كانت عندي عجوز قد تأممتها ، فعرض لها سفر فقالت : لي بنت أحب أن أضمها إليك ، وكان لها ابن أمرد فجاءت به في هيئة الجارية ، وأنا أشعر . فمكث عندي ما شاء الله ، ثم اغتفلني وأنا نائمة فلم أشعر به حتى خالطني ، فممدت يدي إلى شفرة فضربته وأمرت أن يلقى على الطريق وقدر أني اشتملت منه على

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

هذا الصبي فألقيته حيث وجد . فقال : عمر صدقتني بارك الله فيك ثم وعظها ودعا لها وخرج ، وقال للشيخ : بارك الله لك في ابنتك ، فنعم البنت بنتك)) [٦٨].

وفي الأغلبِ تقوَّم هذه الأخبار على السرد التلخيصي ، التي تُركز على ذكر الأحداث فقط لذلك يمكنَ القول أن جميع المرويات السابقة إذا ما لاحظناهَا لا يذكر الراوي سوى الأحداث الأساسية التي يتكون منها الخبر، فقصة وجود الشاب القتيل بظهر الطريق أيام عمر جمع لنَا الراوي مجموعة أحداث امتدت عبر زمان طويل عبر السرد التلخيصي ، وفي حكاية علي بن عيسى بن ماهان أيضاً ، فنحن نفهم هذا التراكم في الأحداث والرحلات التي قام َبها علي بن عيسى بن ماهان نوع من تلخيص الحكاية . وهذا ما أعطى التركيب الخبري طابعاً حكائياً مما تنتظم الأفعال السرديّة في سلاسل تكثر أو تقل حسب طول أو قصر الحكاية ، بل كّل سلسلة يشد أفعالها رباطٌ زمنيٌ منطقي .

ونلحظ هذا الأمر نفسه في حكاية الحجاج التي تعرض لنَا من خلال تراكم الأحداث حتى نكاد لا نرى سوى الأحداث ، فهناكَ غياب كلّي للحكايات المجملة ، دونَ تفاصيل اقوال ومشاهد وصف على سبيلِ المثال ،إذ يتم سردَ بضع فقرات أو صفحات لأحداث قد امتدت شهور[٦٩]. وهذا ما نجده في حكاية الشاب الذي وجد قتيلاً بظهر الطريق أيام عمر والتي كانت مليئة بالتفاصيلِ وردود الأفعال وما إلى ذلك . وقد تُسهم تعليقات بعض الرواة التي تتخلّل الأخبار في إعطاءِ الخبر طابعاً تركيبياً، يعمل على الربط بين الوحدات الخبريّة .

ومن ذلكَ ما جاء في المروي : ((كان مالك بن أنس إذا أراد أنً يتحدث توضأ، وسرح لحيته وجلس في صدر مجلسه بوقار وهيبة ، تعظيماً لحديث رسول الله)) [٧٠]. ثم يعلّق عليه بقوله : ((ودخل إليه ليلة بعدما أوى إلى فراشة قريبه إسماعيل بن أبي أويس ، ليحدثه ، فقام وتوضأ وفعل نحو ذلك وحدثه . ثم نزع ثيابه وعاد إلى فراشة)) [٧١]. ثُم يردف هذا التعليق بخبرٍ مفاده أنه ((وأراد الرشيد أن يسمع منه الموطأ مع ابنيه فاستخلى المجلس ، فقال : إن العلم إذا منع منه العامة لم ينتفع به الخاصة فأذن للناس فدخلوا)) [٧٢].

وقد يتجلّى التركيب الخبري على وفق تشكّل بنائي منسجم قائم على التوليف بين الوحدات السرديّة المختلفة التي ينظمها جامع موضوعيً ، ذلكَ بأن يروى خبرانَ أو أكثر تحت عنوان رئيس تَساق إزاءه الأخبار، فيكونَ ذلكَ العنوان الرئيس موضوعاً جامعاً لجملة من الأخبار مختلفة الأسانيد متّحدة الموضوع .

من ذلكَ ما رواه الزمخشَري في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار تحت عنوان (ما روي عن طفرة النظام) ، فساقَ بهذا الصدد خبرينَ منفصلين ، كان مسارهما حول الموضوع الرئيس وهو، إذ يقول ((طفرة النظام ، مثل في المُغِذَّ ، الذي يطوي البعيد في مدة يسيرة ، ومن مذهبه أن الجوهر ينتقل من المكان الأول إلى الثالث من غير أن يمر بالمكان الثاني)) [٧٣]. وقد تتراصف الوحدات السرديّة وتتعشّق فيما بينها ومع ذلكَ تُحافظ كل وحدة على استقلاليَتِها داخل التشكيل المركّب الذي ينزع صوب البناء الحكائي ، إذ ترتبط الوحدات الخبرية مع بعضها البعض ((برباط نسقي خاص ، ويحيل السابق على اللاحق ، وتضمن للتحوّل والتوالي نسقيَّتها ومنطقيَّتهما)) [٧٤]. ولكي تحافظ الحكاية على نسقيَّتِها البنائيَّة، وانسيابها التشكلي فمن الملاحظ أن بعض الوحدات الخبرية المستقلة ضمنَ بنية الخبر المركّب قد تجنح إلى تقليص سلسلة السند الخبري ، وربَّما باشَرنا المتن الخبري مرسلاً على نحو ما أورده الراوي في الخبرِ الخاص، إذ يقول : ((قيل لبعض العلماء : إن الناس يكثرون في أمر عمر بن عبد العزيز فقال : كان يقال : إن الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات)) [٧٥]. لذلكَ نرى تقلّص الإسناد الخبري في بعض الوحدات فاكتفى الراوي بسند مختزل (قيل) أو (فقال) ، أو المباشرةَ بالحدث الخبري (كان يقول) ، ومما سبق يتضح أن التشكل البنائي للخبر كان على صورتينَ ، إحداهما : الخبر البسيطَ والأخرى : الخبر المركّب .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

فكان الخبر البسيط المفرد وحدة دلالية قائمة بذاتِها على المستوى السرديّ، قد يقوَّم على القصر والإيجاز وهو اتجاه واسع في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري . ومن صوره أن يقوَّم على حدث رئيس تتمحور حوله جملة من الأحداث وقد تأخذ الشخصيّة الرئيسة بزمام الأحداث داخل بنية الخبر ، أو قد تنزوي الشخصيّة الرئيسة التي يُساق بصددها الخبر، وتأخذ الشخصيّة الثانوية بزمام الأحداث داخل بنية الخبر . كما أن وإجازة الخبر البسيط المفرد أحياناً سمحت له بأن يتضمّنَ المفارقة ، أو النادرة أو الموقف المثير، أو المقولات القصيرة المتضمنَة لمعانيَ حِكَميّة .

وقد تبيّنَ مما سبقَ أن الخبرَ المركّب يقوَّم على تضافر عِدّة لحظات سرديّة يجمعها جامع ما كوحدة الشخصيّة ، أو تقارب المضامين ، ونحو ذلك ؛ ولذا يتشكّل الخبر تركّيبياً على وفق نظم معيَّنة ، التي تعطي للخبر المركّب طابعاً حكائيًا ، ناشئاً عن تراكميّةِ الوحدات السرديّةِ البسيطةِ في ضمّنِ السياق المخصوص للخبر .

وأخيراً يخلص الكلام إلى القول بأن توظيف بنية التشكّيل السرديّ بتجلياتهَا في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري ، لم يكن اعتباطياً ولا يعني تفوقاً ورجحاناً ، بل أن هذه الأهمية ناجمة في الأساس ((عن الوظيفة التأطيرية أو الديكورية التي يلعبها))[٧٦]. لذلكَ كان توظيفاً واعياً ينم عن إيحاءات ودلالات تعلن أهمية الزمان والمكانَ والبنية البسيطة والبنية المركّبة في النص السرديَّ . لذلكَ تبينَ من خلال تصنيف الخبر في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار لزمخشَري عن طريق بنية التشكّيل السرديّ ، إذ أن الزمخشَري لونَ كتابه بألوان شتى وأن المتلقيّ يجد ضالته ومبتغاه بينَ تلكَ الألوان ، ومن هذا نجد أن الزمان في أخبار الزمخشَري قد أعتمد على الزمن الطبيعي بنوعيه التاريخي والكوني ليحقق من ذلكَ صورةً واضحةً أمام المتلقيّ عن زمان وقوع الأحداث المهمة من حياة الشخصيّة المتفاعلة في هذه الأخبار، فقد كان للتقنيات الزمنية الحديثة حضور واضح في أخبار الزمخشَري من خلال حركة السردَ وترتيب أحداثها فقد أتبع الزمخشَري في ترتيب سردهِ تقنيتي الاسترجاع والاستباق وكان للأول فيها الغالبية في الحضور أما فيما يخص حركة سردهَ فقد تراوحت بين السرعة والإبطاء إذ تم تسريعه بحذف الأحداث تارةً وبتلخيصها تارةً أخرى ثم تعطيله بالوصف والحوار .

وعلى الرغم من أهمية المكان في النصوص السرديّة إلا أن ما يحتلهَ المكان من مساحة سرديّةً في أخبار الزمخشَري قليل جداً مقارنةً بالعناصر السرديّة الآخر ، فلا يشغل مساحة واسعةً إلا في بعض الحالات التي يراد بها وصف الإشارةَ إلى شخصيّة ما أو التعريف بها كما نلحظ تعدد الأماكن في أخبار الزمخشَري فمنها ما كان أليفاً ومعادياً أو مفتوحاً ومغلقاً أو مكاناً عجائبياً ، ولكل منها دلالات مختلفة تعلن عن أهميتها وتأثيرها في النص الخبري . وكذلكَ نلحظ الخبر في النصوص السرديّة وحدةً مستقلةً سواء أكان بسيطاً أو مركّباً ، وأن هذا التركّيب لا يؤدي إلى التعقيدِ أو يأتي بغية الاطالة وإنما هو نتيجة طبيعة الخبر المنقول الذي يبينَ منهجية الزمخشَري في تحريك سرده المتنوع باتجاه الغايات والمقاصد التي يريدها وتوظيف التقنيات اللازمة لذلكَ ؛ تدل على قدرةٍ فائقةٍ تبرز واضحةً في الأثر الذي تحدثه في المتلقيّ حين توصله إلى ما يريد أن يوصله إليه .

الخلاصة :

تبين من خلال تصنيف الخبر في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار من حيث جماليات بنيته ومقاصده ، أن الزمخشَري لون كتابة بألوان شتى وأن المتلقي يجد ضالته ومبتغاه بين تلك الالوان ، فالخبر فيه وحدة مستقلة سواء أكان بسيطاً أو مركباً ، وأن هذا التركيب لا يؤدي إلى التعقيد أو يأتي بغية الاطالة وإنما هو

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

نتيجة طبيعة الخبر المنقول . كما أن الخبر المسرود أيا كان نوعه (واقعياً ، عجيباً ، غريباً) ، يمكّن السارد من أداء مقاصد متعددة منها داخلية لازمة ذات طابع تداولي ، ومنها طارئة يستدعيها الراوي فتظهر من لأخر .

أن منهجية الزمخشَري في تحريك سرده المتنوع باتجاه الغايات والمقاصد التي يريدها وتوظيف التقنيات اللازمة لذلك ، تدل على قدرة فائقة تبرز واضحة في الأثر الذي تحدثه في المتلقي حين توصله إلى ما يريد أن يوصله اليه .

الهوامش

(١) ـ ينظر : الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، سعيد يقطين : ١٩٥ .
(٢) ـ معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون : ١٧٢ .
(٣) ـ الخبر في الأدب العربي ، محمد القاضي : ٣٥٥ .
(٤) ـ ينظر : م ـ ن : ٣٥٦ .
(٥) ـ الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات ، د . سعيد جبار : ١١ .
(٦) ـ معجم السرديات : ١٧١ ـ ١٧٢ .
(٧) ـ ينظر : استراتيجية الخطاب في أخبار الثقلاء (مقاربة تداولية) ، صفيه حمادو، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب واللغات ـ جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو ، الجزائر ، ٢٠١٠ م : ١٥ .
(٨) ـ التوالد السردي الأفقي : قراءة في بعض أنساق النص التراثي ، د . سعيد جبار : ١١ .
(٩) ـ ربيع الأبرار ونصوص الإخبار ، الزمخشَري ، تح : عبد الأمير المهنا : ١ / ١٩٠ .
*زياد : هو زياد بن أبيه ، خطيب ، بليغ ، داهية ، أدرك النبي (ص) ، ولم يره . ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤ هـ . توفي سنة ٥٣هـ ، ينظر : لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تح ، عبد الفتاح أبو غدَّة : ٢ / ٤٩٣ .
*معقل بن يسار : هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني ، صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان . في سنة وفاته خلاف ، قيل إنه توفي سنة ٦٥ هـ ، ينظر : الإصابة في تميز الصحابة ، العسقلاني : ٦ / ١٢٦ .
(١٠) ـ م ـ ن : ٤ / ٢١٤ .
(١١) ـ ينظر : الخبر والحكاية ، التشكّل الدلالي في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، د. بشرى قانت : ٩٣.
(١٢) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣٠٥ ، ينظر : ديوان كثير عزة ، تح ، احسان عباس : ٣٩ .
*عاتكة : هي عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، كانت أمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، تزوجها عبد الملك بن مروان وهي أم ولده يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة : ٤٢٤ .
(١٣) ـ م ـ ن : ٤٢٥ .
(١٤) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣١٣ ـ ٣١٤ .
*ابو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر، شاعر ، أديب ، من الظرفاء السريعي الجواب ، ولد بالأهواز سنة ١٩١ هـ . وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٣ هـ ، ينظر : وفيات الأعيان ، بن خلكان : ١ / ٥٠٤ .
(١٥) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٥٦ .
(١٦) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣١ .
*أحمد بن عيسى العلوي : هو أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . ولد سنة ١٥٧ هـ بالمدينة ، نشأ فاضلاً عالماً بالدين والحديث . سجنه الرشيد وفرَّ من سجنه واختبأ مدة عند محمد بن إبراهيم الإمام ببغداد ثم ذهب إلى البصرة ومات فيها سنة ٢٧٤ هـ . ينظر: مقاتل الطالبيين ،لأبي الفرج الأصفهاني، تح، كاظم المظفر :٤٠٨.
(١٧) ـ الخبر في الأدب العربي : ٣٥٥ .
(١٨) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١٢٨ .
(١٩) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ١ / ٣٣٠ .
*إبراهيم بن السندي : إبراهيم بن السندي بن علي يحدث عن ابن المقرئ ، ومحمد بن زياد الزيادي كثير الحديث ، صاحب أصول ، ثقة توفي سنة ٣١٣ هـ ، ينظر: البيان والتبيين ، الجاحظ : ١ / ٣٣٥ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

*الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مات سنة ٢٠٤ هـ . قال يحيى بن آدم : ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد . وولي القضاء ثم استعفى عنه : ينظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي : ٤٩ .

(٢٠) ـ م ـ ن : ٢ / ٣٧٨ .

(٢١) ـ الخبر في الادب العربي : ٣٦٠ .

(٢٢) ـ م ـ ن : ٣٦١ .

(٢٣) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٣ / ١٣١ ـ ١٣٢، ينظر : ديوان قيس بن الخطيم ، تح : إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب : ١٩.

*سائب خاثر : هو سائب بن يسار الليثي بالولاء . أبو جعفر ، أحد أئمة الغناء والتلحين في العرب. فارسي الأصل نشأ بالمدينة فاحترف التجارة وأثرى، كان حسن الصوت حلو المعشر وهو أول من عمل العود بالمدينة، ينظر:الأغاني٦٢/١.

(٢٤) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٦١ .

(٢٥) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ٣٢٧ .

*الأعمش : هو سليمان بن مهران . ولد يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ بالكوفة . كان عالماً بالفرائض . قيل لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدةً حاجته وفقره . توفي بالكوفة سنة ١٤٨ هـ ، ينظر : في تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تح : د . بشار عواد معروف : ٩ / ٣٠ .

(٢٦) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٤ / ٢٥١ .

*النجاشي : كلمة للأحباش تسمي بها ملوكها كما يسمي ملكهم قيصر والفرس كسرى وسمى ابن حجر النجاشي الذي لجأ إليه المسلمون في هجرتهم إلى الحبشة أصحمة ابن أبحر . أسلم على عهد النبي (ص) ولم يهاجر إليه وكان يحمي المسلمين ويدافع عنهم مات في عهد الرسول (ص) سنة ٩ هـ . وقال آخرون قبل الفتح ، ينظر : الإصابة :١ / ١١٢ .

(٢٧) ـ التوالد السردي الأفقي : قراءة في بعض أنساق النص التراثي : ٨١ .

(٢٨) ـ م ـ ن : ٨٣ .

(٢٩) ـ ينظر : الأدب والغرابة ، دراسات بنيوية في الأدب العربي ، عبد الفتاح كيليطو : ٣٩ .

(٣٠) ـ ينظر : طرائق تحليل السرد الادبي ، مجموعة مقالات ، عبد الحميد عقار : ٥٦ .

(٣١) ـ م ـ ن : ٥٦ .

(٣٢) ـ معجم السرديات : ١٧٢ .

(٣٣) ـ الخبر في الأدب العربي : ٤٩٣ .

(٣٤) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٦٦ .

(٣٥) ـ قال الراوي ، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين : ١٣ .

(٣٦) ـ ينظر : الخبر في الأدب العربي : ٣٦٤ .

(٣٧) ـ السردية العربية ـ من التواصل إلى التفاعل ، عبد الله إبراهيم : ١٩ .

(٣٨) ـ ينظر : معجم السرديات : ٣٣٦ ـ ٣٣٨ .

(٣٩) ـ ينظر : خزانة شهرزاد الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة ، د . سعاد مسكين : ٢١١ .

(٤٠) ـ ينظر : الخبر في السرد العربي ، الثوابت والمتغيرات : ١٣٢ .

(٤١) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ١٥٦ .

*مطر الوراق : مطر بن طهمان الورّاق . كان من رواة الحديث ، عدَّه ابن سعد في الطبقة الرابعة من البصريين ، ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تح ، علي محمد البجاوي : ٤ / ١٢٦ .

*تحلحل : تحرَّك . وسلامة : هي أم أبي جعفر المنصور وهي جارية بربرية .

(٤٢) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ٢٢٠ .

*الثقلان : هما الإنس والجنَّ .

(٤٣) ـ في معرفة النص ، دراسات في النقد الأدبي ، د. حكمت صبَّاغ الخطيب ، يمنى العيد : ٦٨ .

(٤٤) ـ في أدبنا القصصي المعاصر ، شجاع مسلم : ١٢٨ .

(٤٥) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١١٩ ـ ١٢٠ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

*ابن أبي عتيق : هو عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . حجازي من أهل المدينة قضى الشطر الأكبر من حياته في عصر بني وغلبت كنية أبيه على اسمه فعُرف لدى القدماء والمحدثين باسم : ابن ابي عتيق . كان من نبلاء قريش وكان مشهوراً له بالفضل والنسك والصلاح والعفاف والشرف كما كان مشهوراً بالظرف والدعابة وحلاوة الفكاهة والميل إلى اللهو والمزاح والغزل : م ـ ن : ١١٩ .
*أربدّ لونه : تّغير واصبح بلون الربدة وهي الغبرة .
(٤٦) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١٢٠ .
(٤٧) ـ ينظر : معجم السرديات : ٣٣٨ .
(٤٨) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ٢٠٠ .
(٤٩) ـ معجم السرديات : ٣٢٥ .
(٥٠) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣٢٥ .
*البدرة : الكيس توضع فيه الدراهم (عشرة آلاف درهم) .
(٥١) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٣ / ٣٢٥ .
(٥٢) ـ معجم السرديات : ٣٢٥ .
(٥٣) ـ م ـ ن : ٣٢٦ .
(٥٤) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١٤١ ، ينظر: الأغاني ٧ / ١٦٤ .
(٥٥) ـ ينظر : خزانة شهرزاد والأنواع السردية في ألف ليلة وليلة : ٨٩ .
(٥٦) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٤ / ١٤٨ ـ ١٤٩ .
*جام ذهب : كأس من ذهب .
(٥٧) ـ م ـ ن : ٣ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .
(٥٨) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ /٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٥٩) ـ الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، إبراهيم جنداري : ٧٣ .
(٦٠) ـ بناء الرواية ، ادوين موير : ١٢ .
(٦١) ـ الخبر في الأدب العربي : ٣٦١ .
(٦٢) ـ ينظر : الشعرية ، تزفيطان تودوروف ، تر ، شكري المبخوت ، ورجاء سلامة : ٦٣ .
(٦٣) ـ البنية القصصية في رسالة الغفران ، حسين الواد : ٤٩ .
(٦٤) ـ ينظر : الراوي الموقع والشكل بحث في السرد الروائي ، يمنى العيد : ٥٥ .
(٦٥) ـ يتظر : السرد ، جون ميشيل ادم ، تر ، احمد الودرني : ٣٢ .
(٦٦) ـ ينظر : م ـ ن : ٣٢ .
(٦٧) ـ ينظر : الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ، موريس أبو ناضر : ٨٨ .
(٦٨) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٤ / ١٣٧ ـ ١٣٨ .
*الظئر هنا المرضعة : وقد تأتي بمعنى العاطفة على ولد الغير .
*المخالطة : المخالطة هنا معناها النكاح واشتملت منه حملت منه .
(٦٩) ـ ينظر : خطاب الحكاية بحث في المنهج ، جيرار جنيت ، تر : محمد معتصم ، عبد الجليل الازدي : ١٠٩.
(٧٠) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٤ / ٢٨ .
*مالك بن أنس : هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ، فقيه ومحدَّث مسلم ، وثاني الأمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة وصاحب المذهب المالكي في الفقه الاسلامي ، أشتهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي وتثبته فيه ، وكان معروفاً بالصبر والذكاء توفي سنة ١٧٩هـ ، ينظر: سير أعلام النبلاء : ٧ / ١٥٠ .
*إسماعيل بن أبي أويس : هو إسماعيل بن أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن إدريس ابن مالك بن مالك بن أنس محدَّث مكثر من الحديث . مات سنة ٢٢٠ هـ ، ينظر : تهذيب التهذيب ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني : ١ / ٣١٠ .
(٧١) ـ م ـ ن : ٤ / ٢٨ ـ ٢٩ .
(٧٢) ـ م ـ ن : ٤ / ٢٩ .
(٧٣) ـ م ـ ن : ٣ / ١٠ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

*طفرة النظام : هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري . إمام المعتزلة توفي سنة ٢٣١ هـ، ينظر : تاريخ بغداد : ٦ / ٩٧.
*المُغِذَّ : المسرع .
(٧٤) ـ التوالد السردي ، قراءة في بعض أنساق النص التراثي : ١٨ .
(٧٥) ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ٥ / ١٠٩ .
(٧٦) ـ الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا : ١٧٢ .